العربية في نصوص الثورة الجزائرية
وتطبيقاتها أثناء الكفاح المسلح

أ. محمد الصالح بوسلامة

1. العربية في نصوص ثورة التحرير
2. مساهمة المنظمات الوطنية: – الكشافة – اتحاد الطلاب – النقابة– الأندية الرياضية لإحياء العربية في إطار جبهة التحرير الوطني.
3. دور المحافظ السياسي – خطاب التوعية– التعبئة في إعادة الاعتبار للغة العربية في إطار جبهة التحرير الوطني.
4. تكوين الطلاب الجزائريين (مدنيين عسكريين) باللغة العربية في البلدان العربية.
5. الإعلام بالعربية أثناء الثورة
6. في الولايات الست التاريخية
7. العربية في الإبداع الفني الأدبي والدراسات التي عرفت بالثورة وتضحيات الشعب الجزائري.

مقدمة

إن الشعب الجزائري مهما تعاقبت عليه الظروف الاحتلالية الاستدمارية الحالكة، ومهما حاول المستدمرون خلالها أن يعيثوا في الأرض فسادا وفي الشعب تفقيرا وتنكيلا وتجهيلا واحتقارا وإذلالا، محاولة منهم أن ينسوه رؤوس نفسه وبين حضارته الحرة الزاهرة وبين لغته العربية التي كانت في أيام العزة والكرامة سيدة الميدان.

إنه ظل مستبسلا ثابتا مستميتا في تشبثه بلغته العربية التي يعرف يقينا من أنها مفتاح باب عزته ومصدر قوته ونبع حضارته وإطار حصانته والعروة الوثقى في ربط وحدته وذلك إذا أراد أن يعيش محترما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيدا بين أمم هذه المعمورة فلغته العربية الأصيلة هي مبعث فخره وقاعدة إزدهاره وعلامة على تطوره في هذه الحياة وهي أيضا حصن مناعته فمنذ عهد الأمير عبد القادر وقبله في العهد الإسلامي الأول والشعب الجزائري قد اختار نهائيا أن تكون اللغة العربية وحدها فارسة الميدان في كل شأن من شؤون حياته فهذا حماد الصنهاجي مؤسس الدولة الحمادية عندما عقد صفقة تجارية مع جنوة الايطالية قد قيل له بأية لغة يكتب هذا العقد فأجاب: وهل هناك لغة لنا في حياتنا وحضارتنا غير اللغة العربية؟ مع أن حماد هذا كان بربريا أمازيغيا لا يعرف التكلم بالعربية ومع ذلك قد اختار بكل حرية أن يكتب العقد باللغة العربية، وهذا يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية عند عقد الصلح بين ملوك الطوائف في الأندلس قد كتبه باللغة العربية مع أنه وهو ملكهم جميعا ومن حقه أن يكتب الصلح باللغة التي يختارها هو لا هم لأنه لا يجيد مطلقا التكلم باللغة العربية ومع ذلك قد فضل العربية على الأمازيغية التي هي لغته على عكس أشباه بعض الجزائريين اليوم، فلم يستحوا أن يرفضوا العربية لغة وكتابة وهكذا الأمير عبد القادر إبن محي الدين البطل المجاهد العدو اللدود للغزاة الفرنسيين المحتلين قد أعطى للغة العربية الأصيلة بعدا حضاريا وعناية فائقة في أن يجعلها لغة العمل العسكري في تسجيل الآلات والمعدات باللغة العربية ومواصلة الاجتماعات والمداولات واللقاءات بينه وبين قادته ومواطنيه باللغة العربية الوحيدة في الميدان دون غيرها، وكانت عنده لغة الشعر والأدب والفلسفة, والتصوف والتدوين، فقد توسعت على يديه إلى أن صارت همزة وصل بينه وبين سائر الجهات التي يتعامل معها حيث سجل بها كل أعماله ومآثره الديوانية ورسائله الإخوانية مع الخلان والأصدقاء، كان الأمير نفسه يعتبرموسوعة علمية نادرة تمشي على الأرض فبالرغم من الظروف النضالية الصعبة التي عاشها في حياته من مهاجمة الأعداء له وتآمر الخونة أعوان العدو بين الجزائريين عليه، وخيانة الجيران وبعض الأصدقاء فإنه ظل ثابتا صابرا محتسبا أمره لله سبحانه وتعالى، وعند نفيه خارج وطنه لم يحجم عن فعل الخير وتقديم مساهماته لإخوانه العرب من ذلك أنه قد ساهم مساهمة فعالة في إزالة فتيل الفتنة بين الإخوان اللبنانيين في الحرب الأهلية التي وقعت بين المسلمين والمسيحيين في القرن التاسع عشر،إذ وقف موقفا مشرفا في بذل مساعيه الناجحة وتقديم خدماته لهم عملية وعينية، وبالتالي في التوصل إلى عقد الصلح بين الطرفين، وخلاصة القول فإن الأمير عبد القادر رحمه الله قد ساهم مساهمة مشهودة في تطوير اللغة العربية شعرا ونثرا وفلسفة وتصوفا وتاريخا وحكمة فجزاه الله عنها خيرا.

بعد هذه المقدمة التاريخية الوجيزة عن دور اللغة العربية في حياة الشعب الجزائري عبر الحقب التاريخية أعود إلى الموضوع المطروح للشرح وهو:

1. العربية في نصوص الثورة التحريرية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن المعلوم إن لكل بناء أسسه وقواعده الخلفية القوية التي لا يقام ولا يستقيم إلا بها فعن طريقها وحدها دون غيرها يترسخ في الأرض ليمتد بعد ذلك في علو وشموخ وفي صلابة ومتانة كذلك شأن ثورة التحرير المظفرة فإن شروط قيامها يعتمد على قواعد أساسية مضبوطة فلا يمكن لها أن لا يشتد عودها وتتقوى إلا بها فهي مقوماتها ومقوياتها– ومنها:

1.1 أن ينهض بإشعال فتيلها مجاهدون مخلصون أوفياء أشداء على الكفار رحماء بينهم ولا يخافون في الله لومة لائم ووطنوا أنفسهم على التضحية والفداء وجعلوا من حبهم لوطنهم وعروبتهم وإسلامهم وأرواحهم شغلهم الشاغل في حياتهم ومقدم على حب أنفسهم ومن الطبيعي أن يتمتع هؤلاء بصحة جيدة ويتميزوا بقوة بدنية وجسمية وسلامة عقلية مع استعداد كلي لمنازلة الأعداء ومقارعتهم وانتظارهم للإنقضاض عليهم في أية لحظة من لحظات حياتهم.

2.1 أن يؤمن هؤلاء المجاهدون إيمانا قويا صادقا راسخا بالدفاع عن لغتهم العربية الأصيلة كدفاعهم عن وطنهم وشعبهم لأنها مفتاح العزة والكرامة.

وأنها مرشدهم في انجاز كل المهمات والعمليات التي تجد في كل خطوة ومرحلة من خطوات ومراحل حياتهم، فاللغة العربية بالنسبة إلى ثورة التحرير في الجزائر مطلب لا يقل أهمية ومنزلة عن الكفاح التحريري، فهي التي تنور عقولهم وأفكارهم وتشعرهم بعزة النفس وحيويتها، إذ لايمكن للمجاهدين من أبناء جيش وجبهة التحرير أن ينالوا فوزهم وينتصروا على عدوهم الآثم البغيض في غياب الغيرة والحماس في الدفاع عن لغتهم ولغة وطنهم وإسلامهم حضارة أسلافهم، إذ لا قيمة ولا منزلة سامية عالية لأي جزائري إذا لم يعتن بلغة الوطن ويدافع عنها بكل قوة وبجميع الوسائل، فالشعب القوي المحترم المهاب العزيز الكريم ذلك الشعب الذي تعلقت همته بلغة وطنه وبأهدابها حريص باستمرار على توسيعها وترقيتها لأنها سوف تبقى الشاهد عليه في قوته أو ضعفه وتكون المقاس والمعيار الذي لا لبس فيه في تمييز هذا الشعب عن ذاك، وما هيمنة أمريكا على العالم ببعيدة عنا، إذ كيف استطاعت في ظرف قرنين من الزمن أن تسمو بلغتها وتفوز عن طريقها بكل السباقات العلمية والتقنية والفنية وتصبح بالتالي المهمين على العالم برمته، فلولا تعلق شعبها بلغته والتفاني في خدمتها ومحاولة تطويرها وتوسيعها باستمرار لما بلغت هذه المنزلة السامية الرفيعة ولما صارت كل أمم العالم تخاطب ودها وتخشاها وتحرص على التقرب منها لتفوز ببعض فتاتها مثل بعض الدول العربية الحقيرة الذليلة المباحة لغيرها مثل حكم المماليك، وانطلاقا من الشعور بالمسؤولية التاريخية الخطيرة من رجال الثورة التحريرية بالعمل على استعادة مجد اللغة العربية ووضعها في مكانتها التي افتقدتها ومنزلتها المحترمة المرموقة بين شعبها فانطلاقا من كل ذلك بدت ثورة التحرير المظفرة حريصة كل الحرص على اختيار سبيل مرن لتطورها وترقيتها وجعلها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صاحب المقام الأول في ميدان العمل حيث أن كل الوثائق وكل النصوص الثورية تكتب وتسجل وتدون بلسانها، ومن الجدير بالتأكيد والتركيز أن تورتنا التحريرية قد اختارات نظام المؤسسات والتسيير الجماعي، وعن طريق هذا النوع من التنظيم، قد تعددت مجالس التسيير وتنوع أداء المهمات فيها، ولا يمكن لهذه المهمات وهذا النوع من المسؤولية لقيادة الثورة أن تؤتي ثمارها وتحقق غايتها إلا عن طريق اللغة العربية وبذلك تتبين لنا المهمة المتنوعة الثرية التي كانت تقوم اللغة العربية بها في تغطية كل هذه الأنشطة التنظيمية المحكمة الواسعة إذ بواسطتها تسجل المواجهات اليومية بين المجاهدين والفرنسيين ويحصى عدد المواطنين وتقيد المبالغ المالية اليومية من الإعانات والتبرعات وغيرها، والمصاريف التي تنفق على المجاهدين وعائلات الضحايا، وشراء المواد الغذائية الألبسة العسكرية وغيرها بالإضافة إلى التقارير السياسية والإعلامية السرية والعلنية والمراسلات المتداولة المحمولة بين رجال الثورة والشخصيات الجزائرية العامة من تجار وموظفين لدى الحكومة الفرنسية وكل ذلك يكتب باللغة الوطنية والقليل منها فقط يكتب باللغة الفرنسية كما كانت هناك مجالات من الوظائف الهامة التي لا يمكن لأية لغة أخرى غير اللغة العربية القيام بها، أو تحل محلها وأقصد بذلك أعمال اللجان الشرعية القضائية حيث ان ثورة التحرير المظفرة مثل ما ذكرت سابقا قد طبقت نظام المؤسسات الثورية على كل القيادات وفي كل المستويات، من ذلك اللجان الشرعية ووظيفة هذه اللجان تتكرس في الفصل بين قضايا المواطنين في الخلافات اليومية التي تقع بينهم حيث يتولى مسؤولو اللجنة الشرعية بمعية أربعة من الأعضاء دراسة القضية ويتم ذلك باللغة العربية تم مواجهة المتخاصمين بالحكم في القضية بعد دراستها وتدون في سجلات خاصة ترسل نسخة منها إلى الجهة العليا المسؤولة وهناك نوع أخر من القضاء يدخل في اختصاص اللجان الشرعية وهو الحكم على الخونة بالإعدام وبالبراءة حسب دراسة قضيتهم وإستيفاء كل شروطها أو بالنفي إلى جهات أخرى خارج دائرة سكناه وهذه اللجان الشرعية تتسلل في الدرجة والمسؤولية، فهناك لجان على مستوى القسمات، وهناك لجان على مستوى النواحي وهناك لجنة الدائرة التي تشرف على أعمال كل اللجان الشرعية الأخرى ويمكن لهذه الأخيرة أن تتدخل وتبطل الحكم المرفوع إليها من لجان النواحي أو القسمات وهناك لجنة شرعية على مستوى الولاية، وهكذا يتبين لنا أن الثورة لم تكن ثورة قتلة أو قطاع الطرق مثل ما تتصوره الدعاية الاحتلالية ولكنها ثورة تحريرية تقول فصلا وتحكم عدلا.

2. مساهمة المنظمات: الكشافة، اتحاد الطلبة، النقابة الأندية الرياضية لإحياء اللغة العربية في إطار جبهة التحرير.

القول بأن الكشافة الاسلامية التي كان لها في نشاطها الثوري دور في كتابة نصوصها في أعمالها باللغة العربية قول فيه نوع من المبالغة لأنها كانت تسير في أغلب أعمالها باللغة الفرنسية فكل العمداء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقادة ومسؤولو الفروع والأفواج إن لم يكونوا كلهم فأغلبهم كانوا من حملة اللغة الفرنسية وقد كانوا على ذلك قبل ثورة التحرير المظفرة أيام حركة انتصار الحريات الديمقراطية في العهد السياسي حيث كان روادها من امثال أحمد بن بلة ومحمد بلوزداد وأحمد محساس وبن مهيدي والطاهر تيجيني وغيرهم وما يقال عن عدم استفادة اللغة العربية من خدمات هذه المنظمة يقال عن بعض المنظمات الأخرى ويستثنى من ذلك بعض أعضاء المنظمات عندما سافروا إلى الخارج ووضعوا أنفسهم تحت إشراف جبهة التحرير الوطني فأصبحوا ينشطون ضمن صفوفها مثل إتحاد العمال والكشافة والفرق الرياضية والفنية والفلكورية فقد ساهموا جميعا مساهمة فعالة في بعض الشعوب العربية الاسلامية والشعوب الصديقة في التعريف بالثورة التحريرية وبمكانة اللغة العربية في هذه الدول وبالفعل فعن طريق تلك المنظمات قد تعرفت هذه الشعوب على الفن والفلكلور والرياضة الجزائرية لأول مرة في تاريخ هذه القضية وتعرف الجزائر التي كانت الجزائر الفرنسية لكن التسمية التي ألصقها الاستعمار بشعبنا قد أصبحت بعد جولات هذه الفرق تسمى بالجزائر العربية المسلمة ومع ذلك وحتى اليوم فإن نصيب اللغة العربية من خدمات تلك المنظمات ما تزال شحيحة جدا أما بالنسبة إلى مساهمة الطلبة الجزائريين في خدمة اللغة العربية فينبغي أن نميز بين نوعين من الطلبة فهناك نوع من الطلبة قد اختاروا التعليم باللغة الفرنسية فمن الطبيعي أن لا يكتبوا بغيرها وهذا النوع من الطلبة لم يفد اللغة العربية في شيء ولم ينتظر منهم أن يخدموها أو يغيروا عليها. بل كانوا وما يزالون على عكس ذلك وعلى خلافه فقد كانوا سبب مأساتها وعلة تهميشها وتقزيمها. وهناك نوع من الطلبة من الذين تثقفوا باللغتين إما العربية والفرنسية وإما العربية والانجليزية فهذا النوع من الطلبة قد استفادت منهم اللغة العربية نوعا من الفائدة وتوسعت على أيديهم وارتقت، وهناك من الطلبة من الذين تثقفوا باللغة العربية الصرفة إذ تعلموها في الجامعات العربية مثل جامعة القرويين في المغرب وجامع الزيتونة في تونس والجامعة المصرية والسورية والعراقية وكانوا جميعا تحت إشراف جبهة التحرير الوطني فإنهم بالفعل قد كانوا الباكورة الأولى في خدمة اللغة العربية وفي إرساء أسسها وقواعدها في الثورة وبعد الاستقلال فالبعض منهم التحق بالجبال فأفاد اللغة العربية فائدة معتبرة والبعض الأخر قد ساهم في إنشاء الاتحاد الطلابي في الخارج فكانوا سفراء اللغة العربية تحت إشراف جبهة التحرير الوطني بواسطة النداءات والاجتماعات واللقاءات الدورية بشرح وإعلام الأخرين عن نشاط الثورة التحريرية – كنظام ثوري – وكقوة جبارة تقف الند للند ضد أكبر دولة استعمارية تعد القوة الرابعة في العالم آنذاك ومن هؤلاء أذكرأبو القاسم سعد الله – عبد الله الركيبي – مسعد خليلي – محمد العربي ولد خليفة – عثمان سعدي – عبد القادر نور – وغيرهم فأصبحوا أساتذة في الجامعات الجزائرية ومنهم أيضا عمار طالبي وصالح خرفي – والهاشمي قدوري فكل هؤلاء من حماة وحملة القلم العربي الفصيح الصريح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. دور المحافظ السياسي: خطاب توعية وتعبئة في إعادة الاعتبار للغة الوطنية.

إن المحافظ السياسي وهو واحد من بين قادة ثورة التحرير المظفرة قد اسندت له مهمة مزدوجة في القيادة فهو يقوم بتوعية الشعب والمسؤولين عن جبهة التحرير الوطني وبالاجتماعات والندوات مع مسؤولي القاعدة الشعبية من جهة ويقوم بتنشيط وتوعية المجاهدين بدعوتهم إلى رباطة الجأش والصبر في مواجهة العدو والتحلي بالقوة والشجاعة من جهة أخرى كما يقوم المحافظ بمراقبة النشاط وبالتنسيق بين قيادة الجيش وقيادة جبهة التحرير الوطني، في إصدار التعليمات والقرارات الواردة أو الصادرة إلى القيادة العليا، وقد استطاع في ظل هذه المسؤولية الثورية الخطيرة أن يخدم اللغة العربية خدمة جليلة معتبرة ويقويها فهو في كل نشاطاته ولقاءاته يسجل ويدون ويخطب باللغة الوطنية ويناقش غيره من المواطنين والمسؤولين وأفراد المجاهدين باللغة العربية المبسطة، وكان في كل يوم وأسبوع وشهر يرسل ويتلقى كل ما يجدّ من أحداث وأنشطة – سواء حول المعارك والمواجهات التي تقع من حين لأخر بين القوات الفرنسية وجيش التحرير الوطني وما يسفر عنها من قتلى وضحايا في جانب المجاهدين أوالأعداء الفرنسيين، فالمحافظ السياسي هو العين الساهرة على نشاط الثورة لا تنام ولا يسودها السهو أو الغفلة أو التهاون في أداء المهام وهو في المنطقة والناحية أو القسمة – رجل المهمات الصعبة والمسؤوليات الخطيرة.

4. الإعلام باللغة العربية أثناء الثورة التحريرية

أما عن دور الإعلام باللغة العربية أثناء ثورة التحرير المظفرة فهذا النوع من الأسلحة لا يقل منزلة ولا قيمة ولا تأثيراعن السلاح الحربي ، حيث لا يمكن لهذا الأخير أن يعطي للثورة البعد الحقيقي في الانتشار والتوسع والتأثير إذا لم تعني الثورة بالأول وهو الإعلام في الترويج للثورة ونشر دعايتها في الخارج وتقديم الحجج والبراهين لتزييف الدعاية والإعلام المقابل من العدو ولنا أمثلة كثيرة على ذلك حيث أن العدو الاستعماري عندما قامت ثورة التحرير قد ركز على وسائل الإعلام ونشر الدعاية على أن هذه الثورة هي عبارة عن مجموعة من قطاع الطرق جاءوا من المشرق العربي أو من الهند لا صلة لهم بالشعب وهو ما أدى إلى إقناع بعض الجزائريين ممن قد اختاروا أن يحلبوا في إناء العدو وبعض الدول الكبرى أو كل الدول إلا القليل منها، لكن الثورة التحريرية لم تركن وتستسلم لهذه الدعاية وتدع الاستعمار يصول ويجول في الميدان بل قامت بالإعلام المقابل ووزعت رجالها على العالم برمته ليبرهنوا بالحجج القاطعة والوسائل الإعلامية المختلفة من أن الشعب الجزائري هو صاحب الأرض وهو المحتل بالقوة وأن هذه الثورة التحريرية قد قامت من أجل إنصاف الحق وإزهاق الباطل وأن الشعب الذي يحارب العدو هو الشعب الجزائري وحده، ويدافع بوسائله الخاصة بلا مساعدة من أحد ولا معين، وهكذا قد إعتمدت الثورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجزائرية بجانب الدفاع بالسلاح الحربي – الدفاع بالسلاح الإعلامي وهذا الأخير هو الذي أجبر سفير فرنسا في الأمم المتحدة على الانسحاب عندما فرضت عليه رغم أنفه القضية الجزائرية لتناقش في الأمم المتحدة وتكريم الجزائر لهذا النوع من السلاح تجلى عندما تشكلت الحكومة المؤقتة قد عينت وزيرين، أحدهما للقوات المسلحة والآخر للإعلام.

5. العربية في الإبداع الفني والأدبي والدراسات التي عرفت بالثورة وتضحيات الشعب الجزائري

فالثورة التحريرية الجزائرية الكبرى لم تكن ثورة سلاح ودفاع ومواجهة ومنازلة العدو الاحتلالي ولكنها بجانب ذلك قد فجرت طاقات واشعلت في النفوس حرارات من الفنانين والرسامين والسنمائيين والشعراء والأدباء فقد استطاع هؤلاء الرجال جميعا أن ينسجوا نسيجا مزخرفا ملونا بألوانه العربية الفصيحة الأصيلة ويعطوا لها عمقا يحفر في النفوس ويهز العواطف وهم يتفاوتون في فنونهم الأدبية والشعرية والتاريخية، فهناك من أعطى للثورة الجزائرية قصائد من النوع الرصين من أمثال الشاعر السوري سليمان العيسى ومفدي زكرياء ومحمد العيد آل الخليفة وصالح خرفي – والشيخ عبد الرحمن بلعقون والشيخ محمد الصالح رمضان وغيرهم وهناك من صورها الصور الأدبية الرائعة الحية مثل الدكتور أبو العيد دودو وأبو القاسم خمار شعرا ونثرا وهم كثيرون جدا ومنهم صديقنا الدكتور محمد العربي ولد خليفة ومنهم المؤرخون من أمثال الشيخ توفيق المدني – أبو القاسم سعد الله ومنهم الأدباء من أمثال عبد الله الركيبي وغيرهم ومنهم السينمائيين وفي مقدمتهم شندرلي، عبد الحليم رايس وعمار العسكري ومنهم الفنانون من أمثال أحمد وهبي – وخليفي أحمد، وسيد علي كويرات وبو العنين، وردة الجزائرية، الهادي رجب، فريد علي وغيرهم وكانت هذه الفنون قد حركت الرأي العام وأدرك عن طريق الكتب الأدبية المكتوبة والمسرحيات والتمثيل أن الشعب الجزائري له طاقات مختلفة من كل ألوان الفنون والعلوم وخلاصة ما يمكن ان نختم به هذا الموضوع هو أن العربية رغم المراحل التي قطعتها في ثورة التحرير فإن أعدائها المتربصين بها مازالوا في مراكز القوى يكيدون لها محاولين باستمرار تهميشها وتقزيمها ولكنهاسوف تنتصر على خصومها مثلما انتصرت ثورة التحرير المظفرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com